

معنى إذا زلزلت الأرض زلزالها

بدأ ربنا جل جلاله في سورة الزلزلة بالحديث عن واحد من أهوال يوم القيامة، يقول الله عز وجل: { إذا زلزلت الأرض زلزالها } [الزلزلة: 1]

هذه الجملة شرطية، أداة الشرط (إذا)، وفعل الشرط (زلزلت)، وجواب الشرط في قول الله تعالى: { تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا } [الزلزلة: 4] يعني: فصل ربنا بين فعل الشرط وجوابه بفواصل طويل، قال تعالى: { إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا } [الزلزلة: 1 - 4].

يقول العلامة ابن عاشور رحمه الله: والفصل بين فعل الشرط وجوابه بهذا الطول؛ من أجل التشويق لمعرفة جواب الشرط.

قال الله عز وجل: { إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا } [الزلزلة: 1] الزلزلة: على وزن فعلة، هذا البناء في كلام العرب يدل على حركة واضطراب، ومنه قولهم: قلقلة، وقولهم: رجرجة، وقولهم: بلبله، ونحو ذلك.

قوله: { إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ } أي: حركت حركة عنيفة، وماجت واضطربت، وتمور الأرض موراً، هذا الهول كرره ربنا في بعض آياته، كقوله في صدر سورة الحج: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ } [الحج: 1]، وقوله سبحانه في صدر سورة الواقعة: { إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَافَّةً * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ * إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا } [الواقعة: 1 - 5] أي: صارت الجبال كأنها بسياسة وهو الدقيق الذي يصنع بالسمن، فافتتت بعدما ينضج بالنار، هكذا تكون الجبال، وهذا سيأتي معناه في قوله تعالى: { وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ } [القارة: 5].

وقال ربنا سبحانه في سورة الحاقة: { وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ } [الحاقة: 14 - 16]

يقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله: اختلف العلماء متى تكون هذه الزلزلة؟ هل تكون عند خروج الناس من قبورهم وحشرهم إلى عرصات القيامة أم أنها تكون في القيامة نفسها بعد النفخة؟ فقال بالقول الأول: جماعة من أهل التفسير كعبد الملك بن جريج وعبيد بن عمير والشعبي وغيرهم.

ولكن هذا المعنى وإن كان له وجه من النظر فليس له ما يسنده من الأثر.



قال: والأثر يدل على أن هذه الزلزلة تكون مع القيامة، كما في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يقول الله عز وجل **يوم القيامة**: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول الله عز وجل: أخرج بعث النار من ولدك، فيقول آدم: يا رب! وما بعث النار؟ فيقول الله له: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون في النار وواحد إلى الجنة، فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) فلو تدبرنا هذا الحديث مع قوله سبحانه: { **اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ** } [الحج: ١] علم أن القول الراجح بأن هذه الزلزلة تكون في القيامة.